

دراسات في الحديث والمحدثين

[228] قدره اﷲ علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فقال النبي (ص) فحج آدم موسى وكررها ثلاثا. إلى غير ذلك من المرويات التي أوردتها البخاري في صحيحه حول القدر المتفقة في مضامينها (1). وجاء في الكافي حول هذا الموضوع عن منصور بن حازم أن أبا عبد الله الصادق (ع) قال: إن الله خلق السعادة والشقاء قبل أن يخلق خلقه، فمن خلقه الله سعيدا لم يبغضه أبدا، وإن عمل شرا أبغض عمله ولم يبغضه، وإن كان شقيا لم يحبه أبدا، وإن عمل صالحا أحب عمله، وأبغضه لما يصير إليه، فإذا أحب الله شقيا لم يبغضه أبدا، وإذا أبغض شقيا لم يحبه أبدا (2). وروى عن أحمد بن محمد بن خالد بسنده إلى علي بن حنظلة أن أبا عبد الله الصادق (ع) قال: يسلك بالسعيد طريق الاشقياء حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم، بل إنه منهم، ثم تتداركه السعادة، وقد يسلك بالشقي طريق السعادة حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم بل إنه منهم، ثم تتداركه السعادة، وقد يسلك بالشقي طريق السعادة حتى

(1) انظر ص 143 وما بعدها من المجلد الرابع.

(2) والمراد من قوله إن الله خلق السعادة والشقاء قبل أن يخلق خلقه أنه تعالى علم ما سيكون من أمر الإنسان من حيث اختياره لسلوك طريق لسعادة أو الشقاء فقدر عليه ما يختاره وكتبه مع السعداء أو الاشقياء فأحب السعيد وابتغى الشقي. ومع ذلك فلو صدر من الشقي عمل صالح أحب منه ذلك العمل. ولو صدر من السعيد عمل قبيح ابغضه وإن كان هو في ذاته محبوبا له سبحانه. فهذه الرواية وما ورد بهذا المضمون لا تدل على أن الإنسان مسير في أعماله لما قدر عليه ولا يختار من أمره شيئا كما يدعي القائلون بهذه المقالة ولعل المرويات التي أوردتها البخاري وغيره من محدثي السنة من جملة الدوافع على انتشار هذه المقالة بين محدثي السنة وفقهاءهم وجميع اصنافهم مع أنها لو صحت عن النبي (ص) لا بد من تأويلها بما ذكرنا.